(وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ)

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: « **وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** » (البقرة:281) ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله, أما بعد:

فعنِ البراءِ بنِ عازبٍ (رضيَ اللهُ عنهُ) قالَ: بينما نحنُ معَ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) إذ بَصُرَ بجماعةٍ، فقالَ : « **علامَ اجتَمَعَ عليهِ هؤلاءِ؟**» قيلَ: على قبرٍ يَحفِرونَهُ. قالَ: فَفَزِعَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)، فبَدَرَ بينَ يدَي أصحابِهِ مُسرِعًا حتّى انتهى إلى القبرِ، فجَثَا عليهِ. قالَ: فاستقبلتُهُ من بينِ يديهِ؛ لأنظُرَ ما يَصنَعُ، فبكى حتّى بَلَّ الثَّرى من دُمُوعِهِ، ثم أقبلَ عَلَينَا، قال: « **أَيْ إِخوَانِي! لِمِثلِ اليومِ فأعِدُّوا** » (رواه أحمد)

عباد الله: إننا في زمن صعب، تغلَّبَت فيه المصالحُ الذاتيَّةُ عند كثير من الناس على القِيَم الدينية، فقدموا المنافع الشخصيَّة على القيم الأخلاقية، فتحكَّم في النفوس حبُّ الدنيا، والسَّير وراءَ متاعها وزخارِفها، فمن أجل الدنيا يُقدِّمون ويُؤخِّرون، وبسببها يتصارَعون ويتخاصمون، وقد حذر الله تعالى من ذلك، فقال: « **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**» (التغابن: 15)، وتعوَّد نبيُّنا(صلى الله عليه وسلم) من هذا، فقال(عليه الصلاة والسلام) : « **اللهم لا تجعل مُصيبتَنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا، ولا مبلغَ علمِنا** » (سنن الترمذي).

والواجب على المسلم أن يستعد للقاء ربه سبحانه بالإيمان والعمل الصالح، فليس للمَرض عُمْر معلوم، وليس للموتِ وقتٌ معلوم، ولكنها آجالٌ بيَدِ الله، إذا حضَر الأجل فلا رادّ له، قال تعالى: « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنْ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**» (المنافقون:9-11)

أيها الإخوة : إن الله (جل وعلا) يعظنا بموعظة عظيمة في القرآن، وما أعظم القرآن، فيقول: « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ**

بِمَا تَعْمَلُونَ» [الحشر: 18]، فالله تعالى قال:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ" نداء للمؤمنين، ولم يقل: يا أيها الناس، ولم يقل: يا أيها المسلمون؛ لأن في المسلمين من يستجيب ومن لا يستجيب. ففي المسلمين أحياء القلوب، وموتى القلوب.

لذلك نادى بها المؤمنين؛ لأن المؤمنين وصلوا إلى درجة الاستجابة، وصلوا إلى مرتبة سمعنا وأطعنا، وصلوا إلى درجة الانصياع لأوامر الله، وصلوا إلى درجة الارتباط بالقرآن، أصبح القرآن جزءًا من حياتهم، فناداهم الله وشرفهم بالنداء: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ"، أي: اعملوا بأمر الله، وانتهوا عن نهيه، قفوا عند حدوده، اجتهدوا في جمع الحسنات، سارعوا إلى الخيرات، اثبتوا على الدين، حافظوا على الصلوات، احذروا من المحرمات والمسكرات والملهيات والمغريات.

وإذا استجاب المسلم لأمر الله تعالى وبادر بالأعمال الصالحة، فإنها ستكون معه في قبره، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): **« يتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنانِ ويَبْقَى معهُ واحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ ومالُهُ وعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ ومالُهُ، ويَبْقَى عَمَلُهُ»** (صحيح البخاري) .

يتبع الميت أَهْلُه مِن وَلَدِه وأقاربِه، ومالُه كرَقيقِه، فيَرجِعُ أهلُه ومالُه ويَبقى الميت وحيدا في قبره ، ومعه عمله، الذي يُحاسَبُ عليه وَحْدَه، فإن كان عمله صالحا بُشر بالنعيم الدائم ورفعة الدرجات، قال النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الميت الذي عمل في الدنيا صالحا: **« فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ"** (رواه أحمد)، وقال تعالى: **« وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً»** (النساء:69).

وإن كان عمل الميت سيئا – والعياذ بالله – فسينال العذاب الأليم، قال (صلى الله عليه وسلم) عن الميت الذي غرته الدنيا بزخارفها: **« فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَ»** (رواه أحمد)، وقال(صلى الله عليه وسلم): **« ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلا الثَّقَلَيْنِ»** (رواه أحمد) .

أيها المسلمون: إننا نتحدث كثيرًا وكثيرًا عن الحياة وحقيقتها وعن الموت ومع ذلك يستمر العاصي في عصيانه والساهي في سهوه، ولكن عندما يموت الإنسان فسوف يعرف القيمة الحقيقية للحياة، مرَّ رسول اللهِ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) بقبرٍ، فقال: **من صاحبُ هذا القبرِ؟** فقالوا: فلانٌ، فقال: « **ركعتان أحبُّ إلى هذا من بقيَّةِ دنياكم**» (رواه الطبراني) نعم ، لقد شاهد الميت بعينه أن الركعتين أفضل من الدنيا وأن الدنيا لا تساوي عند الله شيئا.

وقفنا عند القبور فشاهدنا ظاهرها مظلمًا مخيفًا فكيف بباطنها! عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه): سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: « **مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**» (رواه الترمذي)

والسؤال الآن: متى نستعد ؟ متى نرجع؟ وكيف نغتنم الدنيا؟

أيها المسلمون: الحياة فرصة عظيمة اغتنموها في طاعة الله تعالى والتقرب إليه بالعمل الصالح وابدؤا من الآن، يقول رسول اللهِ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ): « **سبعٌ يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته، من علَّم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورَّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته**» (مسند البزار)

أيها العاقل : تمسك بتعاليم دينك ففيها النجاة، وعلِّم ابنك الدين، اذهب به إلى المسجد، اجمع له الأخلاق قبل أن تجمع له المال، فإذا تعلم الأخلاق نفعك في الدنيا والآخرة، وإذا جمعت له المال فقط سوف يحصل ولدك عليه ويتمتع به ويتركك مهملا في الدنيا وتكون مسؤولا عنه في الآخرة.

اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

كتبه: فضيلة الشيخ/ **عنتر بلتاجي العشري**– مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.